

**رابعاً: كارل ماركس (1818-1883)**

كارل ماركس يعتبر في نفس الوقت: فيلسوفاً، رجل سياسة، عالم اقتصاد، عالم اجتماع، مؤرخ ومفكر. ومن غير الممكن حصره في ميدان علمي واحد. لذا فليس مشروعاً لنا اعتباره فقط عالم اجتماع، لكن يمكننا التأكيد على أنه بفكره وأعماله كان أحد المساهمين الأساسيين في نشأة علم الاجتماع.

ماركس عايش ميلاد المجتمع الرأسمالي، شهد نمو المصانع وتوسع الإنتاج وما نجم عن كليهما من مظاهر التفاوت وعدم المساواة. ماركس يرى أن هناك عنصرين جديدين / أساسيين أتى بهما نظام الإنتاج الرأسمالي:

- **رأس المال:** وهو مجموع الأصول والموجودات - بما فيها المال والمعدات وحتى المصانع - التي يجري استخدامها أو استثمارها لإنتاج أصول جديدة في المستقبل، ويسمى هذه العملية "تراكم رأس المال". رأس المال في النظام الرأسمالي هو في يد فئة قليلة يسميهم ماركس بالرأسماليين والذين ينتمون اجتماعياً لطبقة البرجوازية.

- **العمل بأجر:** ويشير إلى قطاع العمال الذين لا يملكون، لا وسائل الإنتاج ولا وسائل العيش، يملكون فقط قوة عملهم، لذا فهم مضطرون إلى أن يطلبوا الاستخدام من أرباب رأس المال (الرأسماليين / البرجوازيين) مقابل أجر.

العمال يشكلون غالبية أفراد المجتمع، ولأنهم يشتركون في طريقة الكسب (الأجر وليس الملكية) ولديهم نفس المصالح فهم يعتبرون الطبقة الثانية التي يتكون منها المجتمع: طبقة العمال أو البروليتاريا.

**1- القول بالتحتمية المادية / الاقتصادية:**

بالنسبة لماركس كل مجتمع يتكون من عنصرين أو بنيتين: "بنية تحتية / مادية / اقتصادية" من جهة، وبنية "فوقية / لامادية / اجتماعية" من جهة أخرى.

**البنية التحتية** تجمع القواعد التقنية والاقتصادية للمجتمع. **والبنية الفوقية** تشمل على النظام والمؤسسات السياسية الاجتماعية القانونية الفلسفية الثقافية الشفوية والدينية للمجتمع.

في منظومة الفهم والتحليل الماركسية، البنية التحتية (النظام الاقتصادي، نظام الإنتاج، نمط ملكية رأس المال) هي من تحدد البنية الفوقية (نوع النظام السياسي والاجتماعي، نوع الثقافة والأفكار والمعتقدات والمواقف). بعبارة أخرى المجال الاقتصادي يحتل مكانة مركزية في فهم الظواهر السياسية الإنسانية والاجتماعية.

**2- الطبقات الاجتماعية في صلب التحليل:**

ماركس يفرق بين طبقتين اجتماعيتين: طبقة الرأسماليين (البرجوازية) وطبقة العمال (البروليتاريا). هاتان تدافعان عن مصالح متعارضة، لكي تحافظ كل واحدة على مصالحها وتحميها أو تمنعها فهي مجبرة على الدخول في مواجهة صراعية مع الطبقة الأخرى.

لدوركايم مشروع سوسولوجي واضح، مكنه من القيام بدراسات جادة لإشكاليات اجتماعية مختلفة (الدين، الانتحار، التعليم...)، لذا فهو يعتبر المؤسس الحقيقي للسوسولوجيا الفرنسية. طيلة حياته لم يتوان عن الإفصاح عن إرادته في جعل من علم الاجتماع علما قائما بذاته كبقية العلوم.

أعمال دوركايم ودراساته السوسولوجية تركت أثرا هاما وأبقى من أعمال ودراسات كونت. كان دوركايم يشارك كونت الرأي بأن علينا دراسة الحياة الاجتماعية وفق روح موضوعية مثلما يفعل العلماء عند دراستهم للعالم الطبيعي. لذا فإن أول مبدأ وضعه دوركايم لعلم الاجتماع هو "فلندرس الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء"، وهو يعني بذلك أنه يمكن تحليل الحياة الاجتماعية بالطريقة الصارمة نفسها التي نحلل بها الأشياء والأحداث في الطبيعة.

### 1- موضوع الدراسة في علم الاجتماع هو الظاهرة الاجتماعية:

بالنسبة لدوركايم، موضوع الدراسة في علم الاجتماع هو "الظواهر الاجتماعية". لكن، ماهي الظاهرة الاجتماعية؟ ماهي خصوصيتها؟ ما الذي يميزها؟ ما الذي يجعل واقعا اجتماعيا ما ظلها؟... على حسب إجابته على هذه الأسئلة، يكون دوركايم من جهة قد بين ما يدرسه علم الاجتماع، ومن جهة أخرى قد حدد الفرق بين علم الاجتماع وبقية العلوم الاجتماعية.

دوركايم يعتبر الظواهر الاجتماعية: "طرق الفعل، التفكير والإحساس. الخارجية في وجودها عن الفرد والتي تمتلك قوة إلزامية تفرض بها نفسها على الفرد".

بالعودة إلى تعريف دوركايم للظواهر الاجتماعية نجد أن لها ميزتين:

- خارجية عن وعي الفرد: فالظواهر الاجتماعية توجد خارجنا كأفراد. هي توجد قبل مولدنا وتستمر في الوجود بعد موتنا، لأن زمنها أطول من زمن الحياة الإنسانية.
- القوة الإلزامية: الظواهر الاجتماعية تمارس على الأفراد نوعا من الإلزامية والقسرية، التي هي من القوة حيث أنها تفرض نفسها عليهم، هي موجودة رغما عنا. بعبارة أخرى، الظواهر الاجتماعية تتجاوز الإرادات الفردية.

### 2- سوسولوجيا كلية:

يقول دوركايم: "الظاهرة الاجتماعية موجودة في كل جزء لأنها موجودة في الكل، لا لأنها موجودة في الكل لوجودها في الأجزاء". وهو بقوله هذا يكون قد تبنى مقاربة كلية في دراسة المجتمع.

تعريف: السوسولوجيا الكلية مقاربة بحث تعبر أن البنى الاجتماعية (الكل) مثل: التعليم، الدين، الاقتصاد العادات، التقاليد، الثقافة، السياسية... هي من تأثر وتفسر سلوك الأفراد (الأجزاء). يقابلها مقاربة سوسولوجية أخرى هي الفردانية (ماكس فيبر) التي تعتبر على العكس أن الظواهر والبنى الاجتماعية (الكل) هي نتاج أفعال معتقدات واتجاهات فردية (الأجزاء).

بالنسبة لدوركايم، ليس الأفراد (الأجزاء) من بإمكانهم شرح وتحديد وتفسير الواقع الاجتماعي (الكل)، لكن هو الكل الذي بواسطة القوة الإلزامية والقسرية للظواهر الاجتماعية من يؤثر ويحدد ويفسر سلوكيات الأفراد (الأجزاء).

### 3- سوسولوجيا حتمية:

فالمجتمع وعن طريق القوة الإلزامية التي تمارسها الظاهرة الاجتماعية على الأفراد، يحتم عليهم تبني معينة في الفعل، الفكر والشعور.

### 4- الرباط الاجتماعي... من تضامن غلى آخر:

في مجتمع يحتل فيه الفرد يوما بعد يوم مكانة أقوى، يتساءل دوركايم حول كيفية تمكن أفراد المجتمع من الاستمرار في العيش مع بعضهم البعض بطريقة تضامنية ويتمكنوا من تشكيل المجتمع؟

في كتابه "التقسيم الاجتماعي للعمل" (1893) يقف دوركايم على التحول الذي طرأ على شكل التضامن الاجتماعي. من مجتمع بـ "تضامن آلي" إلى مجتمع بـ "تضامن عضوي". دوركايم يحدد العامل الفاصل بين هذين النوعين من التضامن في "التقسيم الاجتماعي للعمل"، والمتعلق بما عرفه المجتمع من توسيع وتمايز في المهن والحرف المختلفة.

✓ المجتمعات التقليدية ذات التضامن الآلي هي مجتمعات تكون فيها السلوكيات الفردية والنشاطات الإنتاجية على درجة كبيرة من التشابه. الأفراد الذين يعيشون في مجموعات صغيرة ومتقاربة (القبيلة، القرية...) يتبنون سلوكيات وقيما وأفكار متشابهة. التضامن الاجتماعي هنا يقوم على الشبه ويعمل وفق طريقة آلية.

✓ أما المجتمعات الحديثة فهي ذات تضامن عضوي، أين يعرف تقسيم العمل درجات متقدمة، ويحتل الأفراد مكانات مختلفة ويلعبون أدوار متنوعة، كما أنهم يعيشون في مجموعات كثيفة ومختلطة (المصنع، المدينة، النادي، المدرسة...)، ومرتبون ببعضهم البعض في تلبية مختلف الحاجات. التضامن الاجتماعي هنا يقوم على التكامل المرتبط بتنظيم المجتمع، ويعمل وفق طريقة عمل جسم الإنسان.

إذن، حسب طرح دوركايم، التقسيم الاجتماعي للعمل هو شاهد على الانتقال من مجتمعات بتضامن آلي إلى مجتمعات أخرى بتضامن عضوي.

### سادسا: ماكس فيبر (1864-1920)

### 1- موضوع الدراسة في علم الاجتماع هو الفعل الاجتماعي:

يعرف فيبر علم الاجتماع على أنه علم دراسة الفعل الاجتماعي. "نسمي علم الاجتماع، العلم الذي مهمته فهم الفعل الاجتماعي عن طريق الأويل، ما يتيح التفسير السببي لمساره وآثاره... تعني بالفعل سلوكا إنسانيا يضمه الفاعل معنى شخصيا، وبالفعل الاجتماعي الذي يكون المعنى المتضمن فيه على علاقة بأفعال فاعلين آخرين".

ملاحظة: ما الفعل الاجتماعي؟

الفعل = سلوك + معنى

الفعل الاجتماعي = فعل (سلوك + معنى) + تفاعل

## 2- خصائص الفعل الاجتماعي:

- حسب تعريف فيبر، فإن الفعل هو سلوك إنساني له معنى لدى فاعله. إذ هو فعل ذي دلالة لدى فاعله. لكي يعتبر سلوك ما فعلا بالمعنى الفيبري يجب أن يكون حاملا لمعنى بالنسبة لفاعله. مثال: التسجيل في دورة تكوينية قصد رفع حظوظي لإيجاد وظيفة يعد فعلا ذي معنى، في حين أن اصطدام دراجتي بشجرة لا يعد فعلا.
- الفعل يصير اجتماعيا لما يكون المعنى الذي يتضمنه هو نتاج -رد فعل على- سلوكات الآخرين.

**ملاحظة:** تصور فيبر لطبيعة عمل عالم الاجتماع: مهمة عالم الاجتماع هي فهم المجتمع، وفهم المجتمع لا يتحقق بـ فهم الأفعال الاجتماعية، وفهم الأفعال الاجتماعية لا يتأتى إلا بـ فهم المعاني التي تتضمنها.

## 3- أنواع الفعل الاجتماعي:

فيبر يميز بين أربع أنواع للفعل الاجتماعي:

- **للأثنين الأولين: سلوك تقليدي وعاطفي**، الفرد فيهما على درجة منخفضة من الوعي بالأسباب التي تدفعه إلى الفعل. إذا كان بالعادة أو بالعاطفة فهو يفعله عفويا، تقريبا عن ردة فعل.
- أما الفعلين الاجتماعيين الآخرين: **الفعل العقلاني بالقيمة والغاية**، فالفرد فيهما على درجة عالية من الوعي بما يدفعه إلى الفعل. لهذا فيبر يخصهما بتسمية الأفعال العقلانية. لما تقوم بفعل عقلاني بالقيمة فالشيء الوحيد الذي يهمننا هو الإيمان في بعض القيم (السياسية، الدينية، الأخلاقية...). أما في ما يخص الأفعال العقلانية بالغاية فالإنسان يقوم بمقارنة وتكييف الإمكانيات التي يجوزها م الأهداف التي يريد بلوغها، الأفعال الاقتصادية (الاستهلاك، الادخار، الاستثمار...) تندرج داخل هذا النوع من الفعل.

## 4- أنواع الفهم للفعل الاجتماعي:

يرى فيبر أن هدف علم الاجتماع هو "فهم" الفعل الاجتماعي. الفهم يتم عبر تأويل وتفسير العلاقات السلبية ضم الأفعال الاجتماعية.

في هذا الإطار يفرق فيبر بين نوعين من الفهم:

✓ **فهم آني بالتأويل:** الإحاطة بمعنى الفعل وقت حدوثه. (أنت تفهم الآن ومباشرة معنى  $2+2=4$ ).

✓ **فهم بالتفسير:** الذي يعتمد على إعادة بناء الأسباب والدوافع التي أدت بالفرد إلى الفعل الذي قام به، وهذا ما يمكن به

بوضع الفعل في السياق الاجتماعي الذي حصل فيه. (فهم لماذا قام طفل ما باختيار كرة القدم لا رياضة أخرى).

## 5- العقلانية، مبدأ المجتمعات الحديثة:

يرى فيبر أن أهم ما يميز الحداثة هو ظهور ونمو العقلانية. والتي من مؤشراتنا الأساسية انتشار البيروقراطية في المجتمع (برقطة المجتمع). فيبر يلاحظ أن مجموع النشاطات الإنسانية، خاصة كانت أو عامة (مهنية، عائلية، علمية...)، تتجه يوما بعد يوم إلى أن تصبح نشاطات عقلانية أكثر. وهو الأمر الذي لمسه بوضوح في ثلاث مجالات:

✓ **المجال الأولي:** معايير الاختيار. فالمعايير والاعتبارات التي يركز عليها الناس للقيام بخياراتهم في الحياة (الاستهلاك، الدراسة، الزواج، العمل، الانتخاب...) تتسم بالعقلانية (الحساب، الربح والخسارة، الفعالية، المصلحة، المنفعة...). وتبتعد عن كل ما هو أحكام قديمة.

✓ **المجال الثاني:** فضاءات الحياة الاجتماعية (الحياة الخاصة، فضاء العمل، فضاء الترفيه، فضاء الدراسة...). هناك توجه واضح إلى استقلال كل فضاء بنفسه، فالدين مثلا صار محصورا في فضاء الحياة الخاصة باعتباره شأنا خاصا لا يحق لزملاء العمل مثلا (فضاء العمل) التدخل فيه.

✓ **المجال الثالث:** العلاقات الاجتماعية. والتي أخذ البعد الشخصي فيها بالانحصار. فبعد أن كانت العلاقة في المصنع مثلا هي علاقة بين أشخاص صارت علاقة بين موظفين.